بديح مولى
عبد الله بن جعفر

أعــلام الظرفــاء

بـديح مولى عبـد الله بـن جعفر

مـن أهـل المدينـة وهـو مـولى عبـد الله بـن جعفـر وكـان يقـال لـه بـديح المليح

ولـه صـنعة يسـيرة وإنمـا كـان يغنـي أغـاني غيـره مثـل سـائب خـاثر ونشـيط وطـويس وهـذه الطبقـة ولـه روايـة فـي الحـديث عـن عبـد الله بـن جعفر.

مواقف من حياته:

وحشاً من وحوش رقيق الحجاز:

وعن بديح قال: أن عبد الله بن جعفر قدم على عبد الملك بن مروان، فأهدى له رقيقاً من رقيق المدينة، فقال له يحيى بن الحكم وهو عنده: إنما أهديت لأمير المؤمنين وحشاً من وحوش رقيق الحجاز، وقال له يحيى بن الحكم: ما فعلت خبثة؛ يعني المدينة؟ قال له عبد الله بن جعفر: سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وسميتها خبثة! وفي رواية: خالفت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما أرى الله سيخالف بينك وبينه.

إن الكريم طروب:

قال أبو الحسن المدائني: دخل عبد الله بن جعفر على معاوية ومعه بديح، فقال لبديح: هات بعض هناتك، فغنى، فحرك معاوية رجليه، فقال ابن جعفر: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: إن الكريم طروب.

فعليك ضعف ذلك:

قال الأصمعي: قال الوليد بن عبد الملك لبديح: خذ بنا في المنى، فوالله لأغلبنك قال: لا تغلبني.

قال: بلى لأفعلن، قال: فستعلم، قال الوليد: فإني أبداً أتمنى ضعف ما تتمنى أنت فهات، قال: فإني أتمنى سبعين كفلاً من العذاب، ويلعني الله

لعناً كبيراً، فعليك ضعف ذلك.

قال: غلبتني قبحك الله.

فطفق عبد الملك ضاحكاً يفحص برجليه:

دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وهو يتأوه فقال يا أمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب وفنون الأسمار، قال: لست صاحب هزل والجد مع علتي أحجى بي، قال: وما علتك يا أمير المؤمنين، قال: هاج بي عرق النسا في ليلتي هذه، فبلغ مني قال: فإن بديحاً مولاي أرقى الناس منه، فوجه إليه عبد الملك، فلما مضى الرسول سقط في يدي ابن جعفر وقال: كذبة قبيحة عند خليفة، فما كان بأسرع من أن طلع بديح، فقال: كيف رقيتك من عرق النسا، قال: أرقى الخلق يا أمير المؤمنين.

قال: فسري عن عبد الله لأن بديحاً كان صاحب فكاهة، يعرف بها فمد رجله فتفل عليها ورقاها مراراً، فقال عبد الملك: الله أكبر وجدت والله خفاً يا غلام ادع فلانة حتى تكتب الرقية، فإنا لا نأمن هيجها بالليل فلا نذعر بديحاً:

فلما جاءت الجارية: قال بديح يا أمير المؤمنين امرأته الطلاق إن كتبتها حتى تعجل حبائي فأمر له بأربعة آلاف درهم، فلما صار المال بين يديه قال وامرأته الطلاق إن كتبتها أو يصير المال إلى منزلي، فأمر به فحمل إلى منزله فلما أحرزه، قال يا أمير المؤمنين امرأته الطلاق إن كنت قرأت على رجلك إلا أبيات نصيب:

ألا إنّ لَيلَـــى العامريّـــةَ أصـــبحَتْ ::: على النأي منّي ذَنْبَ غـــيرِيَ تـــنقِمُ

وذكر الأبيات وزاد فيها

(وما زلْتُ أستصفِي لكِ الودّ أبتغـــي ::: مُحاسَـــنةً حتَّـــى كـــأنّي مُجْـــرِمُ)

قال: ويلك ما تقول قال امرأته الطلاق إن كان رقاك إلا بما قال:

قال: فاكتمها علي، قال: وكيف ذاك، وقد سارت بها البرد إلى أخيك، بمصر فطفق عبد الملك ضاحكاً يفحص برجليه[1].

فهـــذا سِـــحْرُكَ النِّسْـــوانَ ::: قـــد خَبَّرْنَنِـــي خَـــبرَكْ

قال بديح: حجت بنت محمد بن الأشعث الكندية فراسلها عمر بن أبي ربيعة ووعدها أن يتلقاها مساء الغد وجعل الآية بينه وبينها أن تسمع ناشداً ينشد إن لم يمكنه أن يرسل رسولا يعلمها بمصيره إلى المكان الذي وعدها، قال: بديح فلم أشعر به إلا متلثما، فقال لي: يا بديح ائت بنت محمد بن الأشعث فأخبرها أني قد جئت لموعدها، فأبيت أن أذهب، وقلت: مثلي لا يعين على مثل هذا فغيب بغلته عني ثم جاءني فقال لي: قد أضللت بغلتي فانشدها لي في زقاق الحاج فذهبت فنشدتها فخرجت علي بنت محمد بن الأشعث وقد فهمت الآية فأتته لموعده وذلك قوله

(وآيـــةُ ذلـــكِ أن تســـمَعي ::: إذا جئـــتُكم ناشـــداً يَنْشُـــد)

قال بديح فلما رأيتها مقبلة عرفت أنه قد خدعني بنشدي البغلة فقلت له يا عمر لقد صدقت التي قالت لك

(فهـــذا سِـــحْرُكَ النِّسْـــوانَ ::: قـــد خَبَّرْنَنِـــي خَـــبرَكْ)

قد سحرتني وأنا رجل فكيف برقة قلوب النساء وضعف رأيهن وما آمنك بعدها ولو دخلت الطواف ظننت أنك دخلته لبلية قال وحدثها بحديثي فما زالا ليلتهما يفصلان حديثهما بالضحك مني [2].

لعلّ البرقَ ذاك يعودُ نارا:

قدم بديح الكوفة فغنى بها دهرا وأصاب مالا كثيرا، ثم خرج إلى البصرة ثم أتى الأهواز ثم عاد إلى البصرة فصحب ابن مفرغ في سفينة حتى إذا كان في نهر معقل تغنى وهو لا يعرف ابن مفرغ بقوله

(سَـــمَا بـــرقُ الجُمانـــة فاســـتَطارا ::: لعـــلّ الـــبرقَ ذاك يعـــودُ نـــارا)

(1) الأصفهاني، الأغاني، 15 /197.
(2) الأصفهاني، الأغاني، 15 /170.

قال فطرب ابن مفرغ، وقال يا ملاح كر بنا إلى الأهواز، فكر وهو يغنيه ثم كر راجعا إلى البصرة وكروا معه وهو يعيد هذا الصوت قال ووصل ابن مفرغ بديحا وكساه.

لعل الشيخ ضنين بجاريته:

قال عيسى بن يزيد بن دأب: أرسل يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن جعفر في جارية له مغنية يسأله إياها؛ فقال له الرسول: أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك: فلانة أعجبتني، ويجب أن تؤثرني بها. فقال عبد الله لمولاه بديح المليح: أي شيء يقول؟ قال بديح: فقلت له: يقرئك السلام، ويقول: كيف بت في ليلتك هذه؟ قال: يقول عبد الله: أقرئ أمير المؤمنين السلام. فقال الرسول: ليس كذا قلت ولا له جئت. فقال: ما يقول؟ فأعاد بديح القول، فخرج الرسول مغضباً ومضى إلى يزيد فقال: يا أمير المؤمنين، بلغت ابن جعفر رسالتك وإلى جنبه رجل مجنون ما أدري كيف هو يحكي خلاف ما أقول! فقال: علي به، قال بديح: فذهب بي إليه، فلما دخلت شتمني وقال: تصنع هذا؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، متى عهدك بابن جعفر لا يسمع؟ إقباله علي يسألني منع لجاريته وبخل بها؛ كره أن يعطيكها لمحبته لها فما ذنبي أنا؟! فضحك يزيد وقال: لعل الشيخ ضنين بجاريته[1].

* * *

(1) الحُصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، 8/1.